Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 40:1 (2005)

أثر الإعلام في اللغة العربية

عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأشرف الكتب وأجل الديانات، بلسان عربي مبين ، وحفظ لنا هذا اللسان بحفظ كتابه العظيم فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ**﴾ ، وما من شك في أن من أولى الواجبات على هذه الأمة المحمدية أن تقوم بحماية دينها وصونه عن العبث والتحريف، وإن من أهم ما يصون هذا الدين ويحفظ له دوامه المحافظة على لغته الخالدة بخلوده إلى يوم الدين، هذه اللغة العظيمة التي تجري في دماء المسلمين كجزء لا يتجزأ من إيمانهم، وقد شهد لهم بذلك الأعداء "والحق ما شهدت به الأعداء"، فهذا المستشرق يوهان فك يقول: " إن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم أياً كانت لغته الأصلية جزءاً لا ينفصل من حقيقة الإسلام"، وقال أيضاً: "بيد أن مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقي حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان، وطيد الدعائم، ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه نقدهم اليوم ـ دون جدوى ـ إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى، هذه العقيدة التي جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربي"[1].

وهي حقاً كذلك، ولسوف تبقى هذه اللغة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وسوف يبقى أبناء العربية الغُيُرُ عليها محافظون وعن حياضها منافحون مهما تكالبت خطط الأعداء وتضافرت

١- انظر: المستشرق يوهان فك، **العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب**، ترجمة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي،القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٤، فندريس، **اللغة**، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٤٢١.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

صيحات العداء من قبل الجهلة والمارقين.

وفي عصرنا الحاضر عصر الضعف والذل الذي أصاب العرب والعربية، ظهرت وسائل حضارية انتشرت في كل مكان ألا وهي وسائل الإعلام، هذه الوسائل في حقيقتها سلاح ذو حدين، فإذا ما أحسنّا استخدامها وتوظيفها لمصلحة الأمة، فإن الخير منها وافر بإذن الله، ونحن بإمكاننا أن نجعل هذه الأدوات معاول خير تساعد على الارتقاء بلغة الناس نحو الأفصح والأصلح لو أردنا:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

ويحاول الغيورون من أبناء الأمة سدّ الثغرات، وتقويم الطريق المعوجّة من خلال إقامة الندوات، وعقد المؤتمرات، ويخرجون بالتوصيات تلو التوصيات، لتكون معالم واضحةً في طريق العربية المتعثر، وفق الله القائمين على أمر اللغة العربية في بلادنا، والغيورين من أبناء الأمة إلى كل خير، إنه أكرم مسؤول.

قسّمت هذا البحث إلى مقدّمة ومبحثين وخاتمة، أما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن اللغة العربية وشرفها، ثم عن العربية بين الماضي والحاضر وأثر وسائل الإعلام فيها، وتحدثت في الثاني عن برامج تعليم العربية في وسائل الإعلام، ثم عن أثر هذه الوسائل في تشكيل لغة الطفل، ثم عن الأثر الإيجابي والسلبي لهذه الوسائل ولغتها، ثم عن المسلسلات الفصيحة والمترجمة، وأخيراً عن دور هذه الوسائل في التقريب بين العامية والفصحى.

ثم ختمت الحديث بإيجاز عمّا ينبغي فعله في وسائل الإعلام للارتقاء بها إلى المستوى الذي يجعلها ذات تأثير إيجابي في لغة الناس، وتقريبهم نحو لغة القرآن الفصحى.

نسأل الله الكريم أن يوفقنا إلى ما فيه خير العربية والإسلام، وأن يلهم ولاة الأمور في بلادنا تحقيق ما نصبو إليه من عزة ومنعة لهذه اللغة العظيمة، لغة القرآن الكريم، لتعود إلى سابق عزها ومجدها الغابر.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول:

شرف العربية وفضلها (إنها لغة عظيمة):

اللغة العربية لغة شريفة عظيمة، اكتسبت قداستها وشرفها من كلام الله تعالى الذي نزل بها، وقد تعهَّد المولى الكريم بحفظها حيث حفظ كتابه من التغيير والتبديل، وبذلك ضمن لها البقاء رغم أنف المكابرين والمعاندين.

لقد ثبتت هذه اللغة الشريفة في كل العصور، وتأبّت على قانون تطور اللغات، فكان لها

بذلك ميزة انفردت بها عن كل لغات العالم بلا استثناء، لقد قاومت الزوال والفناء، وظلّت تواصل سيرها متحملةً ما يواجهها من صعوبات وعناء، وعابرةً كل المزالق التي اعترضت طريقها عبر الأزمان، ومطوعةً نفسها لمقتضيات الظروف المختلفة عبر القرون السالفة، وأخذت بحكم طبيعتها العبقرية تُكيِّف خطواتها وتعدِّل من مساراتها، فتَلْبَس لكل مسار لبُوسَهُ الملائمَ له، وتُغيِّر من ملامحها الشكلية وفقاً لظروف الزمن وما ينتظمه من تغيُّرات في مجالاته الحياتية المختلفة، كل هذا مع احتفاظها بثوابتها وجواهرها الأساسية التي تحافظ على بنيتها الأصلية، وتميّزها عن غيرها من أنماط الكلام(٢).

إن الذي ملأ اللغات محاسناً جعل الجمالَ وسرَّه في الضاد

يقول الرافعي رحمه الله: "أما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجوداً متميّزاً، قائماً بخصائصه، فهي قومية الفكر، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة، والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمقها هو عمق الروح ودليل الحسّ على ميل الأمة إلى التفكير والبحث في الأسباب والعلل، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطماحها. وإذا كانت اللغة بهذه المنزلة وكانت أمتها حريصةً عليها، ناهضةً بها، متسعةً فيها، مُكبرةً شأنها، فما يأتي ذلك إلا من روح التسلّط في شعبها، والمطابقة بين طبيعته وعمل طبيعته، وكونه سَيِّدَ أمره، ومحقق وجوده، ومستعمل قوته، والآخذ بحقه"(٣).

لقد نعق الناعقون من المستعمرين والمستغربين ونادوا منذ أواخر القرن الماضي بإقصاء اللغة الفصحى عن ميدان العلم والعمل، وإحلال اللهجات العامية والرطانات أو اللغات الأجنبية محلها بدعوى أنها أحلى ألفاظاً، وأوفى تعبيراً، وأدق في إصابة المعاني، أو بدعوى أن العربية لم تعد قادرةً على تقديم الزاد لأهليها، أو التعبير عن حاجاتهم وما تكنه صدورهم، أو الحوار مع أفكارهم، أو بدعوى أنها عسيرة معقّدة، يتعذّر على الناشئة استيعاب قواعدها وضوابطها من أجل الإبداع والانطلاق في التعبير علماً وأدباً وثقافةً وغير ذلك(٤).

٢- كمال بشر: **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**، ص ٣٣، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣- مصطفى صادق الرافعي: **وحي القلم**، ١٤٨/٢ ـ ١٤٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٤- **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**: ص ٤٤، وفخر الدين قباوة: **المهارات اللغوية وعروبة اللسان**، ص ١٦، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، وراجع فيما يتعلق بالعامية ودعاتها، محمد نذير مكتبي: **الفصحى في مواجهة التحديات**، ص ٩٣ وما بعدها، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، وأحمد عبد الغفور عطار: **قضايا ومشكلات لغوية**، تهامة، جدة، =

إنها أوهامٌ باطلة وتُرَّهَاتٌ زائفة سرعان ما ذهبت أدراج الرياح، وأَفَلَتْ بأفول أصحابها، خابوا وخسروا، وإنما البقاء للأصلح والمكث في الأرض للأنفع دائماً. لقد جهل هؤلاء الخارجون أو تجاهلوا بأن الإسلام هو الذي حمى هذه اللغة، والقرآن ربّاها ورسخ وجودها على أسس متينة لن يستطيعوا إليها سبيلاً مهما حاولوا، وما دعاويهم هذه إلا سهام موجهة إلى هذا الدين. قال العقّاد رحمه الله: "الحملة على لغتنا نحن حملةٌ على كل شيء يعنينا، وعلى كل تقليد من تقاليدنا الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة، لأن زوال اللغة في أكثر الأمم يبقيها بجميع مقوماتها غير ألفاظها، ولكن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قواماً يميّزه عن سائر الأمم، ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان"(*).

ومن أمارات فشل ما ذهبوا إليه وفساده أنهم هم أنفسهم لم يستطيعوا تنفيذ ما نادوا به ودعوا إليه، بل كتبوا مقالاتهم وألّفوا كتبهم باللغة الفصحى، وهذه الإذاعات الغربية التي تبثّ بعض برامجها باللغة العربية وتخاطب أبناء العربية لا تخاطبهم إلا باللغة الفصحى لعلمها بأنها هي الرابط الوحيد الذي يوحّد لسانهم إضافةً إلى رابطة الدين، وأنها السبيل الوحيد للاتصال بهم والحوار معهم. وإذا كنا نرى الأقوام الأخرى لا يدعون إلى هجر لغتهم القديمة (كاللاتينية أو السنسكرتية)، فكيف يليق بنا نحن أهل هذه الحضارة الشامخة أن ندعو إلى نبذ لغتنا واستبدال أخرى بها ؟!

ومن أمارات ذلك الفشل أيضاً ما حققته الجامعة السورية من إقرارها اللغة العربية لغةً للدراسة العلمية في كل المراحل الجامعية، فكانت بذلك رائدةً في هذا المجال وقدوةً لغيرها وحجةً على العرب أجمعين وعلى هؤلاء المارقين بوجه أخص، وبذلك تحطمت جميع المفاهيم الفاسدة التي روّجها خصوم الفصحى ودعاة العامية، وأخطرها هو ادعاؤهم أن العربية الفصحى لغة أدب وشعر لا لغة علم وحضارة(٥).

وأرى أن هؤلاء الجاحدين للخير المنكرين لفضل العربية قد عَمُوا وصَمُّوا فلم يسمعوا بتلك النصوص الكثيرة التي ورثناها عن أسلافنا رحمة الله عليهم أجمعين، والتي تحثّ على وجوب صون

الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٤٤، ٥٦، ٦٨، ٩٧.

*- انظر: العقاد، **اشتات مجتمعات في اللغة والأدب**.

٥- **الفصحى في مواجهة التحديات:** ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

هذه اللغة الشريفة وتعلّمها والمحافظة عليها، وقد كانوا في العصور الأولى يَعُدُّوْنَ اللحن والخطأ فيها أمراً خارماً للمروءة بل ضلالاً. فقد أُثِرَ عن عمر رضي الله عنه أنه مرّ بقوم يرمون ويخطئون في الرمي فأنكر عليهم، فقالوا: إنا قوم متعلّمين، فقال: للحنكم أشدّ عليّ من خطئكم في رميكم، سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "رحم الله امرأً أصلح من لسانه"(٦). وكان رضي الله عنه إذا سمع رجلاً يخطئ قبَّح عليه، فإذا أصابه يلحَنُ ضربه بالدِّرَّة(٧).

وقيل للحسن البصري رحمه الله: "إن هاهنا قوماً يتعلمون العربية، فقال: أحسَنُوا يتعلمون لغة نبيّهم(٨). وروى الكسائي عن عمرو بن دينار قال: "تكلموا العربية فإنها المروءة الظاهرة، وترتب الوضيع مراتب الأشراف"(٩). ومرّ أعرابي بمؤذن فسمعه يقول: أشهد أن محمداً رسول الله (بنصب رسول)، فنظر الأعرابي إليه نظرة مغضب فقال: ويلك ما شأنه؟. يريد أنه جعل (رسول الله) صفةً، ولم يأت بخبر، فصار الكلام غير مفيد(١٠). وكان الصدر الأول من أهل العربية يأنفون من اللحن، وينكرون على فاعله؛ فقد جاء عن الحَجَّاج أنه قال لبعضهم: أسمعت منّي لحنةً؟ فقال: الأمير أجل من ذلك، فقال له: أسمعت مني باللّه؟ فقال له: نعم، سمعتك تقول: الضبعة العرجاء، فقال: إذاً لا تساكنّي بعدها(١١). يريد: أنه لا يقال: ضبعة، وإنما يقال: ضبع(١٢). إلى غير ذلك من الأخبار المحكية، والآثار المروية في شرف هذه اللغة والحثّ على تعلّمها، وذمّ الجهل بها والخطأ فيها، حتى

٦- السيوطي: **الجامع الصغير**، ٢٣/٢، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الرابعة. وانظر: ابن الأنباري: **إيضاح الوقف والابتداء**: ٢٢/١، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٧- ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ٧٧/١ ـ ٧٨، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٨- **إيضاح الوقف والابتداء**: ٢٩/١، **والجامع الصغير**: ٢٣/١.

٩- **إيضاح الوقف والابتداء**: ٤٥/١.

١٠- ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، ١٥٨/٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

١١- انظر في هذه القصة: المبرد: **الكامل** ٣٦٥/١، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، وابن الحنبلي: **عقد الخلاص في نقد كلام الخواص**، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، تحقيق: نهاد حسوبي صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢- هذا للأنثى، ويقال للذكر: الضبَّعان. انظر **عقد الخلاص**، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦، والجوهري: **الصحاح** (ضبع). ويروى أن الذي نبَّهَ الحجاج هو يحيى بن يعمر. انظر: **إيضاح الوقف والابتداء**: ٤٦/١، وأبوبكر الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**: ص ٢٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

إن الإمام مالكاً رحمه الله قال: "من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه".

إن اللغة هي مرآة عاكسة لحضارة أهلها، وصورة حقيقية لكل مناحي النشاط الإنساني في مجتمعها، كما أنها الوعاء الأمين الذي يحفظ تراثها، وليست مجرّد ضوضاء أو أصوات تُلقى في الهواء، وإنما هي قوالب من الكَلِم تحمل في طيّاتها وتنتظم في أحشائها ثقافات أهليها وأفكارهم، وتنبئ عن أنماط سلوكهم، وإن البعد عن هذه اللغة أو الانقطاع عنها، هو في حقيقته تخلٍّ عن مكتسبات الأمة بأكملها من ثقافة وفكر، وتخلٍّ عن حضارة عظيمة بناها الأجداد في قرون متعاقبة من الزمن الغابر، وقطع لنسب عريق ممتد في أعماق التاريخ، وهذا لعمري من أهم الأهداف التي يسعى إليها المستعمر في هذا العصر، ألا وهو قطع المسلم عن ماضيه بإبعاده عن لغته الأم؛ لأنه يعلم أن قوة الأمة كامنة في وحدتها، ولغتها من أهم أسباب هذه الوحدة، وما ذلّت لغة شعب إلا ذلّ.

إن لغتنا العظيمة لغة حية مرنة نشطة مسايرة للمتغيّرات، قادرة على استيعاب المستجدات، لا تعوزها المواكبة لكل ما تنتجه آلة الحضارة المعاصرة، ووسائلها في ذلك كثيرة تفتقدها كل اللغات سواها، فلها الاشتقاق والنحت والتعريب والتدخيل وغير ذلك من الوسائل التي تسمح لها بالوضع والابتكار. وأكبر دليل على ذلك أنها استوعبت كثيراً من الآداب والفنون والعلوم التي لم يعرفها العرب. إن اللغة العربية لم تضق في ماضيها بالجديد الوافد إليها من اللغات، وبما هي في حاجة إليه، ولم تضق في حاضرها، فقد استقبلت آلاف المصطلحات العلمية والأدبية والفنّية؛ لأنها لغة سمحة مرنة، فهي لا تتهم بالجمود؛ لأنها لغة الحياة والخلود ولسان الحركة والصمود(١٣).

لقد استوعبت هذه اللغة تراث الأمم السابقة ذوات الحضارات القديمة، وقاومت في العصر الحديث كل محاولات غزوها في ديارها، أو تغليب اللهجات الدارجة عليها، حتى غدت آخر الأمر لغةً من لغات المنظمات الدولية على رغم غفلة الأجيال العربية الحاضرة، ورغم فتور حماسها للحفاظ على مقومات وجودها(١٤).

يقول الكاتب الفرنسي ينين دينيه بعد أن أسلم: "إن لغة القرآن وإن كانت تمت في أصولها إلى عصور بعيدة قديمة، فهي مرنة طيعة، تسع التعبير عن كل ما يجدّ من المستكشفات والمخترعات

١٣- أحمد عبد الغفور عطار: **دفاع عن الفصحى**، ص ٤٠، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٤- **اللغة العربية والشعوب الإسلامية** (ضمن كتاب: **من قضايا اللغة العربية المعاصرة**)، ص ٧٢، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٠م.

الحديثة، دون أن تفقد شيئاً من رونقها وسلامتها، أما ما تراه من المولَّدات التي تستعملها الصحف العربية بنفس أصولها الأجنبية، فليس ذلك عن ضرورة، وإنما هو نوع من التكاسل والتهاون والتساهل"(١٥).

وصدق الشاعر العربي الكبير حافظ إبراهيم حين صدح بهذه الكلمات على لسان العربية فقال:

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغوَّاص عن صدفاتي

وسِعتُ كتـاب اللّه لفظـاً وغايـةً وما ضِـقتُ عن آيٍ بـه وعـظـات

لكن أبناء العربية وهنوا وذلوا في عصر الحضارة والمدنية فذلت لغتهم، وما عادوا يحترمونها حق الاحترام، فنرى كثيراً من المتحذلقين من شباب أمتنا أو المتشبِّبين من شيوخها درجوا على دسّ كثير من الكلمات والأساليب الأجنبية في عربيتهم الكسيحة دونما أية حاجة ملحة، أو ضرورة علمية أو فنية، إنهم يفعلون ذلك تحذلقاً أو إعلاناً عن فوقية مصطنعة، أو إظهاراً لاتساع ثقافة خرقاء مشوهة أو تنوعها تنوع ما تَكَفَّفُوهُ من عناصر لا يدري أكثرهم مصدرها، ولا يدركون معانيها الدقيقة، بل لا يجيدون نطقها، ويمسخونها مسخاً، يلوكونها بألسنتهم ويلوون أعناقها. ونتيجة كل ذلك زيادة في الخلط، وإمعان في الاضطراب والتخبّط والابتعاد عن اللغة الأم، والحلّ كامن في إصلاح ثقافي واجتماعي شامل يرد الأمور إلى نصابها الصحيح، فتصحح أنماط السلوك القومي كلها، وعلى القمة منها في الأهمية الإصلاح اللغوي(١٦)، الذي تتعدد مساراته، وتتنوع طرقه، ويأتي في مقدمتها الجانب الإعلامي الذي يشكل عاملاً مهماً في تكوين اللغة، وسيرورة الألفاظ والأساليب بين الناس.

العربية بين الماضي والحاضر وأثر الإعلام فيها:

اللغة العربية هي لغة دستور هذه الأمة كما أسلفنا، ومن ثم احتلت هذه اللغة العظيمة مكاناً مرموقاً في قلوب أبنائها، فذادوا عن حياضها، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل خدمتها، فأفنوا أعمارهم في لم شملها وتقعيدها، حتى وصلت إلينا صافيةً زاهيةً، وواضحةً مفهومةً. لقد كانت هذه اللغة هي الأداة التي اعتمدها الأسلاف في بناء حضارة عتيدة افتخرت بها الأمة، وتغنى بها الأبناء، ومن واجب هذه اللغة على أبنائها في كل زمان ومكان أن يحموا حماها، ويذودوا عن حياضها، ويتعلقوا بها، ويرفعوا من شأنها، لتكون لغتهم في كل آن وميدان، بل إن ذلك من دلائل الانتماء إلى

١٥- زهدي أبو خليل: نحو **لغة سليمة**، ص ٨، دار أسامة عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٦- **اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**: ص ٣٧.

هذا الدين، ومن دلائل محبة الله ورسوله كما قال أبو منصور الثعالبي رحمه الله: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عُنِيَ بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها"(١٧).

إن ما وصلت إليه العربية اليوم في كثير من الميادين وخاصة ميادين الإعلام حيث اعتراها الوهن وأصابها الضعف، لأمر يبعث على القلق لدى الغيورين من أبنائها، ويحزّ في النفس عقوق أبنائها حين أبعدوها عن ميدان العلم بحجة أن اللغات الأجنبية أكثر مسايرةً لروح التطور والتقدم التكنولوجي، ولعمري إنْ هذا إلا نتيجة للشعور بالهزيمة النفسية التي أصابت مقاتل أبناء الأمة في هذا العصر، إضافةً إلى إعجاب مفرط بما أخرجه المستعمر الغربي من آلات التقدم والحضارة، وما تبعه من نظرة إعجاب وإكبار لثقافة الإفرنج ولغاتهم، ونظرة ازدراء واستصغار إلى لغتهم الأم، وشعورهم بأنها أقل من أن تملأ قلوبنا وعقولنا، وأن تثمر واقعاً يمهد للنمو والتقدم.

وإنها أيضاً لحجج واهية سخيفة بسخافة عقول معتنقيها، لا تثبت أمام أول مواجهة، فكم من أمة ضعيفة لا تملك من المجد الحضاري أي رصيد تركن إليه، قد تشبثت بلغتها، وطوّعتها لاستيعاب هذه العلوم والتقنيات المعاصرة، فارتقوا بها إلى حيث أرادوا لها، وصنعوا لها مجداً وحضارةً لم تكن لولا همةٌ وعزيمةٌ وإصرارٌ، ولا أدل على ذلك من فعل الأرمن واليهود واليابانيين والكوريين والهنادكة وغيرهم من الأمم التي تدرس كل العلوم المعاصرة بلغتها القومية عزةً وإباءً، وحق لها ذلك، فأين أمة العرب من تلك الأمم؟ ليتها تعلمت هذا الدرس الناصع فتأبت على الذل والهوان الذي لحقها حتى في لغتها القومية، ليت المتفيهقين تعلَّموا هذا الدرس، وترفّعوا عن تشبثهم بأعذار سخيفة واهية أضرَّت بلغة الأمة، وزادتها ذلاّ على ذلّ، وهواناً بعد هوان.

ولعل ما قامت به الجامعات السورية من اختيار اللغة العربية الفصحى لغةً للتعليم فيها، ونجاحها في ذلك لدليل واضح على إمكانية اعتماد هذه اللغة أداةً طيِّعةً للتعليم، لغةً قوميةً على الأقل، كما فعلت الأمم الأخرى، إلا أن الأمر يبقى مرهوناً بهمّة الشرفاء أولي النخوة والغيرة من أبناء الأمة.

إن الأمر يحتاج إلى مزيد من العزيمة والإصرار لعبور هذه المرحلة القاتمة من تاريخ الأمة،

١٧- أبو منصور الثعالبي: **فقه اللغة**: ص ٢١ (المقدمة)، تحقيق مصطفى السقّا وآخرين، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

كما أنه يحتاج ـ من أجل تحقيق ذلك ـ إلى قرار سياسي حكيم من قادة الأمة، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. وما لم يجنح أصحاب القرار في بلادنا العربية إلى إقرار ذلك فإن الأمر سيبقى مجرّد أمنيات يطلقها أصحاب الغيرة من أبناء الأمة.

إن الإعلام في بلادنا يجب أن يكون مصوناً كما هو شأن المهن الأخرى التي لها قوانين تمنع من امتهانها بغير رخصة من أولي الأمر والاختصاص، والإعلام هو صنو تلك المهن، ومن أراد أن يمتهن الإعلام سبيلاً لعيشه عليه أن يراعي آداب هذه المهنة وقواعدها، ومن أَجَلِّهَا تَأْدِيَتُهَا باللغة الفصحى.

يجب أن تصان الفصحى في هذا الميدان المهم من ميادين هذا العصر الحديث، وأن تخلو وسائل إعلامنا على امتداد وطننا العربي من وجود اللحن، أو اللغات العامية؛ لأننا نأثم إثماً مبيناً في السماح لمثل هذه التجاوزات بالظهور والحضور، ونعدّ مروجين لها، بل ومستجيبين لدعوات الهدم والتدمير التي يطلقها أعداء الأمة ضد العرب ولغتهم الشماء، وأي ضلال أشنع وأزرى من الاعتداء على لغة كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم بغية طمس معالمهما والقضاء عليهما قضاءً مبرماً.

ونشاهد اليوم كتّاباً في الصحف ومتحدثين في الإذاعة والتلفاز لا يجيدون العربية، واللحن على ألسنتهم فاش، وغلطاتهم كثيرة لا تُحصى، وقد وصلت بهم الحال إلى نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، حتى إنك لو رصدت ما يلقى في هذه الوسائل (الإذاعات والتلفزات والصحف والمجلات وغيرها من مواد) لهالك الأمر من كثرته؛ حيث إنه يتعدَّى النصف في عامِّيته، وكأن الإذاعة والتلفاز ـ وهما من أكثر وسائل الإعلام انتشاراً بما يبثانه من برامج متنوعة ثقافية واجتماعية وسياسية ـ مُوَكَّلاَنِ في دعم العامية وتوظيفها، كما يبدو ذلك واضحاً.

ولا شك أن من يستمع إلى هذه الوسائل وبخاصة الأطفال واليافعين يختزنون تلك الألفاظ والأساليب، ويقيسون على منوالها، فتتصارع في أذهانهم مفردات وأساليب فصحى يتعلّمونها في مقاعد الدرْس أو يسمعونها من وسائل الإعلام في شقّها الإيجابي، ومفردات وأساليب عامّية يتلقّونها من وسائل البث الإعلامي والخطاب المبتذل في البيت والشارع. هذا التصارع بين العامية والفصاحة يولّد في أذهانهم مزيجاً لغوياً هجيناً صبغته العجمة والفساد(١٨).

١٨- انظر: **دفاع عن الفصحى**: ص ٩٢، **واللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم**: ص ٤١، **والمهارات اللغوية وعروبة اللسان**: ص ١٨.

ولعلنا نشير هنا إلى أمر يتعلق بهذا الموضوع وهو ميل بعض الأعلام في زماننا إلى تفسير كتاب الله عزّ وجل، أو إلقاء محاضراتهم ودروسهم باللغة العامية الدَّارجة على مرأى ومسمع جمٍّ غفير من أفراد الأمة في رحاب المساجد الكبرى، ويُبَثُّ ذلك عبر القنوات، ويكرر عبر الإذاعات، بل ويطبع ذلك وينشر بين أيدي الناس، وكان من الواجب على هؤلاء الأفاضل وهم ـ كما ينبغي أن يكونوا ـ أشد الناس غيرة على الفصحى لغة كتاب الله أن يلزموا تفسيره باللغة التي أنزل بها، ولا يحيدوا عنها، وأن يرتقوا بأذواق الناس إلى مرتبة اللغة الفصحى، لا أن يهبطوا بتلك اللغة إلى مرتبة العوام ليفهموها.

وبناءً على ما سبق، فإني أرى ما يراه كثير من أبناء الأمة أنه يجب على وزارات الإعلام في بلادنا العربية والإسلامية ألا تسمح لأحد بالكتابة في أي صحيفة أو التحدّث في أي إذاعة أو تلفاز إلا إذا كانت لديه رخصة تشهد له بإتقان مهنته، وفهم أصولها وقواعدها، كما هو الحال في سائر المهن، كما يجب أيضاً التشديد في الرقابة على لغة الإعلام وخاصة الإعلانية منها، وعدم السماح بكتابة الأسماء بألفاظ أجنبية مكتوبة بخط عربي، كما هو فاش في أغلب البلدان العربية بل وحتى في البلاد الإسلامية الأخرى.

المبحث الثاني:

تمهيد: الإعلام لغةً واصطلاحاً:

الإعلام لغةً: الإخبار والتعريف، وهو مصدر أعلمه إعلاماً بمعنى أخبره.

واصطلاحاً: هو تبليغ الناس وتزويدهم بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة، التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم[١٩]. وقد تنوّعت وسائل الإعلام في العصر الحديث؛ فمنها المرئي (المقروء) كالصحف والمجلات واللافتات والإعلانات، ومنها المسموع كالإذاعات، ومنها المسموع المرئي كالتلفاز. وسوف نُعْنَى في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى بهذه الأنواع التي لها صلة وثيقة بتثقيف الجماهير، والتأثير على لغتهم.

ـ وسائل الإعلام وتأثيرها في لغة المشاهدين والمستمعين:

لا ينكر أحد ما لوسائل الإعلام المختلفة في عصرنا الحاضر (من صحافة وإذاعة وتلفزة) من تأثير بالغ في لغة المتلقّين مشاهدين ومستمعين وقارئين، حيث أصبحت هذه الوسائل جزءاً من حياة

١٩- عبد اللطيف حمزة: **الإعلام له تاريخه ومذاهبه**، ص ٧٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

الإنسان لا تنفصل عنه، دخلت بيته ومكتبه ومتجره، وتصاحبه في حله وترحاله، بل إنها اقتحمت الجلسات الخاصة والمنتديات العامة، وإن ما يكثر تكراره على الآذان، أو يتواصل عرضه أمام العيون كفيل بأن يشيع ألفاظاً وتراكيب ويغرسها في نفوس السامعين والمشاهدين، وهذا بدوره يعدّ مشاركةً في توجيه لغة الناس نحو الأحسن أو الأسوأ. وقد ألمح إلى هذا المعنى ابن خلدون رحمه الله حين جعل التكرار وسيلةً مهمةً في تكوين الملكات، وعد اللغة منها، وجعلها شبيهةً بالصفات، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة غيرُ راسخة، ثم يزداد التكرار فيكون صفةً راسخةً(٢٠).

وتستطيع هذه الوسائل أن تحدث قدرا كبيرا من التحوُّل اللغوي في أذهان الناس. لو سُطِّرَ في الصحافة كلام فصيح، سهل المأخذ، حلو المذاق، مسكوب في قوالب فنّية واعية، فإنه بلا شك يستطيع أن يسري رويداً رويداً في سليقة قارئٍ دون قصد ظاهر، ولو وُظّفت الإذاعة لِتَرْفعَ من شأن الفصحى لكانَ للكلمة رسوخ في أذهان متلقّيها، ولو بذلت الجهود متضافرةً في ذلك الجهاز الخطير (التلفاز) واختير للتعبير فيه بالفصحى أنموذج بشري حسن المظهر، راقي الملبس خفيف الظل، عذب الصوت، له قدر من الإعجاب والقبول في نفوس المشاهدين غير قليل، فإن هذا ولا ريب، سوف يؤدي إلى إعجاب بلغته، ولكن الملاحظ في كثير من الأحيان أن الحديث باللغة الفصحى كثيراً ما يقترن بوجوه جامدة، تغرُب أشكالها في محيط المتلقي(٢١)، يتكلف صاحبها الكلام تكلُّفاً، مما أضفى على هذه اللغة الأمّ صفةً هي عنها بعيدة، ومنها بريئة، فنَفَرَ الناس منها، وفضّلوا الحديث بالعامية الهابطة هَرَباً من هذا المنظر المعتاد، وليس هو بذنب الفصحى من قريب أو بعيد، إنما هو آفة المتحدّثين بها، والمتعمّدين لها مثل هذه المظاهر ليشوّهوا سمعتها وينفروا الجماهير منها بقصد أو بغير قصد.

وفي المقابل ترى اللغة العامية تلقيها على مسمعك غادة حسناء، رشيقة القوام، وضيئة الوجه، حسنة الصوت، لا تملّ منها وأنت تنظر بملء عينيك، فيقع في قلبك من كلامها ما وقع من حسن مظهرها. هكذا في الغالب ألصق القائمون على المواد الإعلامية هذه المظاهر بتلك اللغات، فنفَّروا

٢٠- **تاريخ ابن خلدون**: ٤/٩.

٢١- أحمد كشك: **اللغة والكلام**: ص ٣٤ ـ ٣٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

وحبَّبوا.

ولك أن تسأل أيضاً ماذا يحدث لو تسرّبت الفصحى من خلال مادة خطيرة تعرض ليلاً ونهاراً على شاشات التلفاز وفي الإذاعات، آسرة لقلوب الملايين من الأطفال ألا وهي الإعلانات، ولنا أيضاً أن نتساءل: كيف تكون النتيجة لو وضع القائمون على هذا الجهاز من أصحاب الغيرة خطة إيجاد معجم منطوق يلقى في كل شهر منه بجملة أو أكثر، ألا تألف الآذان وتركن النفوس إلى مثل هذه التراكيب مع تكرار العرض وطرق الأسماع ولو بعد حين(٢٢).

لقد عملت هذه الوسائل الإعلامية على خلق لغة جديدة سمتها السهولة والوضوح، والابتعاد عن التعقيد والخيالية، اصطلح عليها باسم "اللغة الإعلامية"، وعرفت هذه اللغة بأنها اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام، وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة النظرية والتطبيقية والفنون والآداب، وكذلك الصناعة والتجارة وغيرها، ذلك لأن مادة الإعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة(٢٣). ومن هنا فإنه يجوز لنا أن نعد هذه الوسائل الإعلامية المختلفة عاملاً مهماً من عوامل التثقيف والتعليم. ويمكننا أن نلخص تأثير وسائل الإعلام في جانبين اثنين:

أولهما: الطريقة التي تتحدث بها عامة وسائل الإعلام، ويشمل ذلك النطق اللغوي للكلمات، والضبط النحوي والتركيبي.

وثانيهما: الثروة اللغوية، حيث تعدّ وسائل الإعلام مصدراً مهماً لتزويد جمهور المتلقّين بثروة لغوية لا يستهان بها.

ويلخص بعض الباحثين الغربيين الطرائق التي تؤثر بها وسائل الإعلام في لغة الجمهور في الأمور التالية:

ـ اكتشاف كلمات جديدة.

ـ التوسع في نطاق معاني الكلمات الجديدة.

ـ تبديل المعاني القديمة بمعان جديدة.

٢٢- **اللغة والكلام**: ص ٢٩ ـ ٣٧.

٢٣- عبد العزيز شرف: **اللغة الإعلامية**، ص ١٧٠، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ـ ترسيخ المعاني الأصلية للكلمات(٢٤).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن تأثير وسائل الإعلام في لغة الناس أمر نظري لم تثبته دراسة واقعية اختبارية تؤكد لنا قوة اللغة أو ضعفها عند المتلقّين بسبب وسائل الإعلام، وأشار إلى أن ما يبث ويذاع من قبل اللغويين فيما يتعلق بهذه الأمور يظل عبارةً عن مخاوفَ على مستقبل اللغة، وافتراضات غير مبنية على دراسة علمية تختبر العلاقة فيما بين الطرفين. وأشار الباحث إلى أن حال الدراسات الأجنبية في هذا الجانب مشابه لحال الدراسات العربية من أنها لا تسعف في الوصول إلى نتيجة محددة حول العلاقة بين المحصلة اللغوية ووسائل الإعلام، ففي حين تشير بعض الدراسات إلى أن العلاقة بينهما سلبية، تشير أخرى إلى انعدام تلك العلاقة.

وقد قام هذا الباحث الفاضل بمحاولة لإجراء اختبار عن طريق إحصائية أقامها على عدد من طلبة الجامعة لقياس مدى التأثير والارتباط بين وسائل الإعلام والمحصلة اللغوية لدى المتلقين، ومدى العلاقة الطردية بينهما، فكانت النتيجة أن إقامة نص لغوي من خلال إعراب كلماته وضبطها ضبطا صحيحا لا يرتبط ارتباطاً سلبياً أو إيجابياً بوسائل الإعلام مثل التلفاز والمذياع والصحف، وأن الضعف اللغوي الموجود لدى شريحة كبيرة من الناس لا يتأثر بأي حال بهذه الوسائل سلباً أو إيجاباً كما أسلفنا(٢٥). وأنا، وإن كنت أميل إلى بعض ما ذهب إليه الباحثُ فيما يخص الناحية القاعدية، ولكنّني أقول: إن وسائل الإعلام سلاح مؤثر إن أحسنّا استخدامه فيما نريد الوصول إليه من حيث مستوى المخزون اللغوي لدى عامة الناس أو من حيث السعي للتقريب بين اللغة الفصحى واللغة السائدة أو من حيث تلقين الأطفال اللغة الفصيحة.

وقد ألمح إلى ذلك العقّاد حين قال: إن أسباب التشعب والتفريع كانت وفيرةً في العصور الماضية، ولم تكن إلى جانبها أسباب للتوحيد والتقريب تضارعها في قوتها وأثرها، فتوافرت هذه الأسباب في العصر الحاضر بعد شيوع الصحافة والإذاعة والصور المتحركة وقوالب الحاكي المشهور باسم الأسطوانات(٢٦).

٢٤- عبد الله الحقيل: **العلاقة بين التعرض لوسائل الإعلام الجماهيري والقدرة النحوية**: ص ١٤١ ـ ١٤٢، جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٥- **العلاقة بين التعرض لوسائل الإعلام الجماهيري والقدرة النحوية**: ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

٢٦- ثروت أحمد: **أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية**، ص ٣٣٤، جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ـ برامج تعليم اللغة العربية في الإذاعة والتلفاز:

تعدّ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أداة تثقيف لشريحة كبيرة من الناس اقتحمت عليهم بيوتهم طوعاً أو كرهاً، ومن ثم انتفت الحواجز والموانع التي تحول دون التلقي والتثقيف، بخلاف الوسائل المقروءة التي يكون فيها مستوى الثقافة عاملاً أساسياً في التأثير والتأثر، وبناءً على ذلك فإن اللغة التي ينطق بها في الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية مهمة للغاية بسبب التأثير الكبير الذي تخلفه في حصيلة المشاهدين والمستمعين، وتؤدي في النهاية إلى إكساب هؤلاء كثيراً من العبارات والألفاظ لتأخذ طريقها للاستعمال في الحياة اليومية، الأمر الذي يعد عاملاً أساسياً في تكوين لغة أو على الأقل عادات لغوية للمستمعين والمشاهدين.

وبناءً على ما سبق فإنه من الأساليب الناجعة والمفيدة التي نستطيع من خلالها بث روح الفصحى في أذهان أبنائنا على امتداد الوطن العربي الكبير وترسيخ كثير من التعبيرات والألفاظ عرض برامج خاصة متنوّعة تدور حول اللغة العربية تعليماً وتدريباً في كل جوانبها وميادينها، وما يتبع ذلك من استقطاب الكفاءات المناسبة لهذا الأمر، فأبناؤنا يشتكون كثيراً من صعوبة اللغة وموادها الدراسية بشكل عام في مراحل دراستهم المختلفة، ونتيجةً لذلك نفر كثيرون منها، ونعلم جميعاً الأثر الفعّال والبالغ الذي يتركه التلفاز، ومثله الإذاعة أيضاً في نفوس المتلقّين والمشاهدين، وبخاصة أن منهم شريحةً كبيرةً شديدة المتابعة لهذه الوسائل الإعلامية، حيث يبلغ متوسط الجلوس لمشاهدة التلفاز يومياً أربع ساعات من خلال استبانة وزعت على شريحة من طلبة الجامعة بلغ عددهم مائة طالب.

إن برامج تعليم اللغة في وسائل الإعلام قليلة وضعيفة، بل هي منعدمة في كثير منها، وعلى الرغم من تتبعي لبعض هذه الوسائل للوقوف على هذا الأمر فإني لم أحظ إلا ببعض البرامج التي لا تشفي غلةً، وكان من أهمها برنامج **شرح كتاب الآجرومية** في النحو العربي، يصدر عن إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية، وهو برنامج جيّد ومفيد لشريحة لا بأس بها من أبناء العربية، إضافةً إلى بعض البرامج لتعليم التلاوة والتجويد. والأمر يحتاج إلى تنويع في المواد، وتلوين في العرض، وتكثيف للجهود المبذولة في هذا المضمار من أجل التأثير، وحصد الثمار الإيجابية في الارتقاء بلغة المتلقين، وتقريبها من اللغة الفصحى. وتتنوع البرامج التي يمكن تقديمها للجمهور في طبيعتها ومضمونها والشريحة التي توجه إليها، فالبرامج الخاصة بالصغار يمكن تقديمها بالطرق المحبّبة إليهم:

ـ كأن تقدم بصورة حوارات بين شخصيات قريبة في السن لهؤلاء الأطفال، تحمل في طياتها

معان سامية، وأساليب راقية، وألفاظاً فصيحة، أو تكون هذه الحوارات دائرة بين شخصيات حيوانية، حيث تستهوي أمثال هذه الشخصيات هؤلاء الأطفال، فنراهم يتعلقون بها تعلقاً شديداً.

- كما يمكن تقديمها بصورة أناشيد جميلة الإيقاع، حسنة الأداء من قبل أطفال متميّزين، فلهذه أيضاً في قلوب الأطفال مكان مكين.

- ويمكن تقديمها بلون ثالث مباشر يهدف إلى تعليم أبواب من اللغة يبدأ من حروفها، ويتدرّج إلى ألفاظ وتراكيب سهلة المخارج، واضحة المعاني، ويطلب من الأطفال المشاهدين ترادها مع من يلقيها، وكثرة الترداد عامل مهم في رسوخها في أذهانهم.

أما فيما يتعلق ببرامج الكبار فيمكن أن تكون:

- برامج مباشرة لتعليم اللغة وقواعدها، بحيث تلقى بصورة وظيفية سهلة ميسّرة، بعيدة عن التعقيد والخوض في الخلافات وسرد الآراء.

- كما يمكن عرضها من خلال مسلسلات فصيحة راقية، متقنة الأداء، جيّدة الإخراج.

- أو من خلال برامج ثقافية ترفيهية كالمسابقات وغيرها.

- أو من خلال أحاديث خاصة كلقاءات المشاهير من العلماء والأدباء وغيرهم.

- كذلك يمكن الإفادة من هذه الوسائل بتقديم برامج خاصة لمحو الأمية لزيادة الوعي الثقافي لدى العامة الذين لم تمكنهم ظروف حياتهم من أخذ قسط كاف من علم أو شيْءٍ من معرفة.

والأمر في نظري يحتاج إلى مزيد عناية وإتقان، وتوفير الدعم المادي والمعنوي اللازم لإنجاحه، ووجود الإرادة والعزم الصادقين، كما هو الحال في كثير من البرامج الناجحة التي توافرت لها مثل هذه العوامل، كاستخدام المؤثرات والتقنيات المعاصرة، إضافةً إلى وجود المذيع الكفء الذي يجيد مع حسن الإلقاء إظهار الحركات المرافقة والتعبيرات والإيماءات، ونغمة الصوت، والوضع الذي يتخذه، والأشياء المادية المصاحبة الأخرى، ومع أن هذه عناصر غير لغوية إلا أنها تساعد بحسن تدبيرها والتنسيق فيما بينها على إيضاح العناصر اللغوية، ومن شأن تكرار مثل هذا السلوك اللغوي على النحو المكثَّف الذي تقدمه وسائل الاتصال أن يحدث له ترسيخ عند الجماهير يفوق المؤثرات الأخرى في الحياة اللغوية(٢٧).

يضاف إلى ذلك دعم رسمي يقوم به ولاة الأمر في بلاد العرب لوضع مثل هذه البرامج موضع

٢٧- محمود فهمي حجازي: **اللغة العربية في العصر الحديث**: ص ١٣٦، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

التنفيذ من أجل إنقاذ الفصحى من مهاوي الرّدئ والفوضى، والعمل على بث روح اللغة الأم "اللغة الفصحى" بين صفوف المجتمع العربي بكل فئاته صغاراً وكباراً، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ولا بد أن يتمثل هذا الدعم بإلزام والتزام بمثل هذه التوصيات والقرارات التي يخرج بها المعنيون من أصحاب الاختصاص في مثل هذه المؤتمرات الطيبة المباركة التي تنمّ عن غيرة، وتنبئ عن حب لهذه اللغة العظيمة لغة القرآن الكريم، وخوف عليها. لا شك أن الاستعمال الرسمي لدى دوائر الدولة في وسائل إعلامها عامل مهم في إكساب الألفاظ الفصيحة والتراكيب السليمة السيرورة والشيوع، ويجعلها راسخةً في الاستعمال العام ومن ثم في أذهان الناس، وهذا هو التأثير الإيجابي المأمول من وسائل الإعلام كافةً.

ـ أثر البرامج الإعلامية في تشكيل لغة الطفل:

لوسائل الإعلام بأنواعها المختلفة أثر واضح في تشكيل لغة الناشئة سواء الإذاعة منها أو التلفاز أو الصحف والمجلات وغيرها، إلا أن التأثير الأكبر هو للتلفاز دون ما سواه؛ حيث أضحى هذا الجهاز ربيب الطفل يعيش معه أكثر مما يعيش معه أبوه وإخوته، يناغيه أكثر مما تناغيه أمُّه، وقد كان الطفل يتعلم الكلام وهو يرضع ثدي أمّه، وأصبح اليوم بعد خروج أمّه مبكِّرةً إلى عملها وعودتها مرهقةً يتعلم الكلام وهو يرمق جهازاً مرئياً مسموعاً، صار له الأم والأب والأخ والصديق(٢٨).

تشير بعض نتائج الأبحاث إلى أن ٩٨ بالمائة من مختلف المعارف تكتسب عن طريق حاستي السمع والبصر، وأن استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥ بالمائة عند استخدام الصوت والصورة، وأن مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة ٥٥ بالمائة(٢٩). ولقد فطن أسلافنا من العرب إلى هذا الأمر، فكانوا يرسلون أطفالهم إلى البوادي ليرتووا من معين اللغة الصافي عن طريق التلقي والمشافهة، ولهذا أُرسل النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم إلى بني سعد إبّان طفولته، ويبين عليه الصلاة والسلام سبب فصاحته بقوله: "أدّبني ربي فأحسن تأديبي، وربّيت في بني سعد"(٣٠).

٢٨- انظر: **اللغة والكلام**: ص ٣٤.

٢٩- أحمد محمد زبادي، إبراهيم الخطيب ومحمد عودة: **أثر وسائل الإعلام على الطفل**: ص ٢٩، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية.

٣٠- ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ٤/١ (المقدمة)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت.

وهذا بشّار بن برد الشاعر العباسي المعروف يسأل عن سبب فصاحته فيقول: "ولدت في البصرة، ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل، ما فيهم أحد يعرف كلمةً من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ!"(٣١).

فالعناية بلغة الأطفال منذ حداثة سنّهم أمر في غاية الأهمية؛ حيث إن ما يرسخ في ذهن الطفل يصعب تغييره فيما بعد إن كان خطأً أو صواباً، فترويتهم فصيح الألفاظ والأساليب يقيم النطق، ويدرّب معه اللسان على مآلفة الفصحى، وقد أشار إلى هذا المعنى الجاحظ حين قال: "وكانوا يُرَوِّوُنَ صبيانهم الأرجاز، ويعلمونهم المناقلات، يأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب؛ لأن ذلك يُفَتِّقُ اللَّهَاة، ويفتح الجرم، واللسان إذا أكثرت تقليبه رق ولان، وإذا أطلت إسكانه حَبْسَأَ وغلظ"(٣٢).

مما سبق يتضح لنا أن الطفل يكتسب لغته بالسماع والتلقي والمحاكاة، ولديه قدرة عجيبة على الاستنباط والقياس على ما سمع، كما أن لديه قدرةً فائقةً على حفظ ما يسمعه من ألفاظ وعبارات، فأثر وسائل الإعلام فيه ـ وخاصة التلفاز ـ كبير، وهو ظاهر ملموس أكبر من أثره على الكبار، ولذلك نرى كثيراً من الأطفال يتقمصون الشخصيات التي تعرض أمامهم، ويقلّدون كثيراً من الحركات والأدوار التي يشاهدونها، ويرددون عبارات فصيحةً بدقة وسلامة كما سمعوها، ونراهم أيضاً إذا رأوا حدثاً أو قرأوا قصةً باللغة الفصحى كيف يسردونها أو يسردون بعض عباراتها على أقرانهم، ويتناقلونها فيما بينهم في كثير من المواقف، مع أنهم قد لا يفهمون مغزاها في كثير من الأحيان.

وإذا ما علمنا أن متوسط عكوف الطفل الذي يتراوح عمره ما بين (٦) إلى (١٦) سنةً أمام الشاشة يبلغ ما بين ١٢ ـ ٢٤ ساعةً أسبوعياً، عرفنا مدى التأثير الذي يتركه هذا الجهاز على ثقافة الطفل عامة، وعلى لغته خاصة(٣٣)، ومن ثم ذهب بعض الباحثين إلى أن الطفل الذي كان يعكف على مشاهدة التلفاز قبل ذهابه إلى المدرسة، يبدأ حياته المدرسية بمحصول لغوي يزيد على من يستمع إلى المذياع فقط دون مشاهدة التلفاز زيادةً تصل إلى ما يساوي فرق سنة دراسية، ويرى أن الزيادة في هذا المحصول اللغوي ترتبط ارتباطاً طردياً؛ حيث إنه كلما كثر عدد ساعات المشاهدة، ازداد ذلك

٣١- أبو الفرج الإصفهاني: **الأغاني**، ١٥٠/٣، طبعة دار الكتب المصرية.

٣٢- الجاحظ: **البيان والتبيين**، ٢٧٢/١، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٣- **أثر وسائل الإعلام على الطفل**: ص ٢٩.

المحصول اللغوي(٣٤). وكلنا يذكر ذلك الأثر الكبير الذي تركه برنامج "افتح يا سمسم" وبرنامج "سلامتك" لدى الأطفال في الدول التي اهتمت بعرضهما وإذاعتهما. ويتضح هذا الأثر في ترسيخ سلوك لغوي جديد جعلهم يعتادون اللغة الفصيحة الموحدة، وهذا ما توقعه اللغويون لهذا المشروع عندما تمت مناقشته وهو في طور الإعداد في الندوة العالمية للغويات في تونس عام ١٩٧٧م(٣٥).

فإذا كبر الطفل أضاف إلى مخزونه اللغوي الذي اكتسبه من مشاهدة التلفاز وغيره من وسائل الإعلام الإطلاع والحفظ حتى يختزن في ذاكرته آلاف المفردات إذا سلك طريق العلم. ومعلوم أن الألوان الأدبية المختلفة "كالقصة والمقال والمسرحية" لها مردودها الإيجابي على لغة الأطفال وخاصة إذا قدمت بأسلوب لغوي شائق، وأبرزت في قالب مبسط محبب إلى قلوب الناشئة في أي من وسائل الإعلام مسموعها ومرئيها، كأن تقدم بصوت ناعم هادئ يأخذ ألواناً من طرق التقديم، ليشدّ إليه الآذان، ويجلب الانتباه، مقروناً بمشاهد طريفة يأنس لها الأطفال، مع الظهور أمامهم بصورة محبّبة إلى نفوسهم عن طريق تقمص شخصيات مختلفة مقترنة بالكلمات المعبرة، والمؤثرات الصوتية الدافقة، والمضامين المثيرة؛ لأن هذه الأمور ترسخ في أذهان الأطفال ويرسخ معها ما صاحبها من ألفاظ وفقرات وأساليب ألقاها المتكلم، فيكون التأثير المأمول في توجيه لغة الصغار نحو الصحة والفصاحة، ولا بد في كل ذلك من مراعاة الإيجاز والوضوح في التعبير والبعد عن الألفاظ الغريبة والتعقيد في التركيبات اللغوية؛ حيث إن الطفل ينفر من مثل هذه الأشياء التي لا يقوى على فهمها. على أن برامج الأطفال يجب أن تختار بعناية وفقاً لمراحل العمر شكلاً ومضموناً، لأن اهتمامات الأطفال وقدراتهم وحاجاتهم تختلف من طور إلى طور(٣٦).

كما أنه يمكن استغلال هذه الأدوار التي تتقمص في إلقاء هذه الأنماط الأدبية متضمنةً الأساليب اللغوية السليمة والمفردات الفصيحة لتحمل في مضمونها أهدافاً نبيلةً، يمكن بواسطتها توجيه هؤلاء الناشئة إلى خلال الخير، وبث مشاعر النبل في نفوسهم، كذلك يمكن من خلالها الإفادة في تعليمهم اللغة، وإثارة بواعث التذوق الأدبي لديهم. كل ذلك يحقق بلا ريب قدراً معقولاً من النمو العقلي، ونوعاً من الاستقلالية عن الكبار في كثير من مناحي النشاط العقلية، إضافةً إلى أنه يكسبهم

٣٤- فتح الباب عبد الحليم وإبراهيم حفظ الله: **وسائل التعليم والإعلام**: ص ٧٠، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٧٠م.

٣٥- **اللغة العربية في العصر الحديث**: ص ١٣٨.

٣٦- انظر: **أثر وسائل الإعلام على الطفل**: ص ٦٩.

قدراً مقبولاً من الثقافة، وإتقاناً لمهارات لغوية عدة كالقراءة مثلاً، الأمر الذي يدفعهم إلى الشعور بالثقة، ونيل مركز مرموق بين أقرانهم.

وفي المقابل سوف تكون هذه الأنماط الأدبية سلبيةً حينما تقدم في وسائل الإعلام موجهةً إلى هذه الشريحة من أبناء المجتمع بأسلوب أو طريقة لا تناسب مستوى عقولهم، كأن تقدم بصوت ضخم أجش، ينفر منه السامعون عامةً والصغار بالأولى، أو كأن تقدم بلغة معقدة بعيدة عن مستواهم، لا تقترب من أذهانهم، فإن ذلك سوف يكون له تأثير سلبي كبير بلا ريب.

ومن الأنماط الإعلامية التي يمكن استغلالها للتأثير في لغة الطفل الإعلانات التي تؤثر على أذهان الكثيرين منهم، فتراهم ينصرفون إليها بكليتهم، ينتظرونها بفارغ الصبر، وفي كثير منها بل في أكثرها يكون الأداء بلغة عامية محشوّة بكلمات أجنبية تعشعش في أذهان الناشئة، ويصبح من العسير اقتلاعها وتغييرها، وقد نقل عن الجاحظ أنه قال: "إن اللفظ الهجين الرديء والمستكره الغبيّ، أعلق باللسان وآلف للسمع، وأشد التحاماً بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم"(٣٧).

فلو أن وسائل الإعلام بذلت العناية التامة بهذه الإعلانات وقدمتها باللغة الفصحى بالقدْر الذي تبذله في تلك الإعلانات المملوءة بالكلمات العامية والكلمات الأجنبية، لأصبح الإعلان بالفصحى لغةً محفوظةً لدى الأطفال والمشاهدين، ومن هنا تتسرب الفصحى رويداً رويداً إلى أذهانهم وتجري على ألسنتهم، وتتمكّن من أفئدتهم(٣٨).

إن الطفل حينما تتشكل لغته القومية إبان الصغر بشكل سليم فإنه يدخل إلى مراحل دراسته الأولى وهو مستعد لغوياً لتلقّي المعلومات التي سيختزنها في ذاكرته لتكون القاعدة التي يبني عليها فيما بعد، ومن ثم فإن الاهتمام بلغة الطفل أمر واجب بل من آكد الواجبات، ولعل هذا من الفروق الواضحة التي تكمن في تلقي المعلومات بين أبناء العربية وغيرهم من أبناء اللغات الأخرى كاللغة الإنجليزية مثلاً، حيث يدلف الطفل فيها إلى المرحلة الدراسية الأولى وهو مسلّح بلغته التي سوف يتلقى بها المعلومات، ولكنّ الطفل العربي يدلف إلى المدرسة وهو لا يملك إلا لغته العامية، وهي لغة ثانوية بالنسبة إلى التعليم، وعليه بادئ الأمر أن يتعلّم اللغة التي سوف يتلقى المعلومات بها، وهذا الأمر سوف يأخذ منه على الأقل ثلاث سنوات أو أربعاً، فيكون قد أضاع هذه السنوات من عمر

٣٧- **البيان والتبيين**: ١/٨٦.

٣٨- **اللغة والكلام**: ص ٣٨.

دراسته، بينما الطفل في تلك اللغة يبتدئ من السنة الأولى بالتلقي والاختزان، وهنا يكمن الفارق الكبير الذي ينتج عن هذا الأمر. ولو أننا هيأنا لأطفالنا بيئةً لغويةً فصيحةً في مراحل الطفولة التي تسبق دخول المدرسة، لاستطاعوا وبكل اقتدار تكلم الفصحى بكل ميزاتها وقواعدها ومخارج أصواتها(٣٩).

ولدي تجربة جميلة في هذا المضمار مع إحدى بناتي التي كانت تشاهد الأفلام الفصيحة بكثرة وهي في سنّ الثالثة والرابعة، حتى أثّر ذلك في لسانها، وأَلِفَتْ نطق الفصحى واستماعها، فأصبحت لديها قويةً بتأثير ما تتلقاه يومياً من هذه الأفلام التي كنت أتابع شراءها لها لما رأيت من عائدها اللغوي الذي لفت انتباهي، وأصبح الأمر لديها ظاهرةً واضحةً، حتى إنها في كثير من الأحيان إذا أرادت التحدث معي تحدثت باللغة الفصحى، وأجيبها أنا بالطريقة نفسها حتى تتمكن الألفاظ والعبارات الفصيحة من لسانها بشكل أكبر، ثم عمدتُ في السنة الخامسة لها إلى تلقينها بعض القواعد النحوية كالأفعال الخمسة، والأسماء الخمسة، والمثنى وغيرها، فحفظتها بشروطها مع التمثيل لكل حالة إعرابية من حالاتها وإن لم تفهم حقيقتها.

وقبل عدة سنوات قابلتُ أستاذاً زائراً من دمشق في محاضرة أقامها النادي الأدبي في المنطقة الشرقية من السعودية، تحدّث فيها الأستاذ عن تجربة له كتجربتي تماماً، الأمر الذي دعاه إلى إنشاء روضة للأطفال للسنوات الثلاث التي تسبق المرحلة الابتدائية، وأحضر لها أساتذةً أكفاءً لا يتحدّثون مع الصغار إلا باللغة الفصحى، وكانت النتيجة إيجابيةً للغاية، فكنت ترى الصغار وهم يتحدّثون باللغة الفصحى في صغرهم مما ساعدهم كثيراً في تقدّم حياتهم الدراسية، بل إن دراسةً أجريت على هؤلاء الصغار بعد أن قطعوا بعض المراحل في حياتهم العلمية فوجد أن ٩٠ بالمائة منهم كانوا من الطلبة المتفوّقين.

وهذا أمر يبعث لدينا الأمل في أن نقدّم بعض الحلول لبعث اللغة الفصحى من جديد في ألسنة الناشئة، ولو اعتمد على هذه الظاهرة في تقديم برامج علمية خاصة لهم في شكلها ومضمونها مشابهة للتي تلقاها هؤلاء الصغار في روضة الأطفال الفصيحة لكانت النتيجة باعتقادي مرضيةً ومبشرةً. فالمأمول ـ بعد كل الذي قدمناه ـ من وسائل إعلامنا على اختلافها أن تولي هذا الأمر عنايةً أكبر لنرى الأثر ملموساً، والعاقبة مرضيةً بإذن الله.

ـ الآثار الإيجابية للغة الإعلام:

لا شك أن للغة التي تستخدمها وسائل الإعلام أثر إيجابي في نفوس المتلقين؛ حيث إنها ـ

٣٩- **المهارات اللغوية وعروبة اللسان**: ص٣٤.

كما أسلفنا ـ تعدّ المؤثر الأكثر حضوراً لدى الشريحة العظمى من أفراد المجتمع، ومن ثم فإننا نلحظ أثرها الواضح في جوانب مختلفة لديه فكريةً وثقافيةً وذوقيةً واجتماعيةً وغيرها، والسبب في هذا أن آلافاً من هؤلاء المتلقين يشاهدون المؤثرات نفسها، ويتأثرون بها، وهذا من شأنه أن يساعد على وحدة الفكر والمعايير والثقافة والأذواق الجمالية(٤٠).

ويمكن تلمس كثير من النقاط الإيجابية المثالية التي قد تسديها لنا وسائل الإعلام المختلفة إنْ أُحسِن استخدامها؛ حيث يمكنها تنمية المخزون اللغوي لدى الجمهور وبخاصة الناشئة عن طريق التدرج والاستمرار في إدخال المفردات الجديدة في ما يقدم لهم من مواد علمية وترفيهية متمثلة في:

ـ البرامج الثقافية المنتقاة بدقة وعناية من قبل متخصصين ذوي حسّ مرهف، وذوق متميّز من شتى التخصصات.

ـ المسلسلات الفصيحة والمترجمة، وقصص الأطفال والمغامرات وما إلى ذلك، ولا بد هنا من الاستعانة بمتخصصين في مجال الترجمة واللغة لاختيار الألفاظ المناسبة، والتراكيب الفصيحة التي تساعد على نمو الحس اللغوي لدى المتلقين.

ـ البرامج العلمية التي تساعد على فهم قواعد اللغة، ومعاني ألفاظها، وطرق تركيبها، وذلك بطرق سهلة ميسّرة، وعرضها بأسلوب متميّز وصور محبّبة، وسوف يكون لذلك أثر إيجابي فعّال، وخاصة إذا تكاتفت جهود المعلّمين والمربّين بتوجيه طلاّبهم إلى الإفادة من مثل هذه البرامج.

ـ الإعلانات التجارية لما لها من أثر كبير في نفوس المشاهدين والمتلقين، فهي أسرع رسوخاً في الأذهان، وأكثر انتشاراً لدى الجمهور من البرامج الأخرى وعلى الأخص الأطفال؛ حيث ينجذبون إليها بشدة إلى درجة أنك تجد كثيراً منهم ينتظر قدومها بلهفة، وما أن تأتي حتى ينصرف إليها بكليته تاركاً كل شيء يشغله عنها(٤١)، ولعل السبب في ذلك كونها موجزةً ومقترنة بمؤثرات تثير الانتباه، وتبعث على المتابعة والاستمرار، إضافةً إلى حسن توظيف للعناصر النفسية والتقنية الحديثة التي تضمن للإعلان النجاح والشيوع.

ويمكن أن تستغل هذه الوسائل لتكون أكثر إيجابيةً في تقريب اللغة السائدة من اللغة

٤٠- عبد الرحمن العيسوي: **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي**، ص ٢٥، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤١- أحمد المعتوق: **دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية**، ص ٨٦، مجلة **رسالة الخليج العربي**، العدد (٤٧)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الفصحى، وكذلك يمكن عن طريقها تنمية المهارات اللغوية لدى المتلقين بشكل عام وذلك ببذل الاهتمام الكافي بالدور التثقيفي الذي تؤديه هذه الوسائل، واستغلالها بوعي وحرص باختيارها أداة تثقيف ونشر للغة القومية، ويكون ذلك بطرق شتى.

ومن أبرز الآثار الإيجابية الملموسة على أرض الواقع لوسائل الإعلام المختلفة ما يلي:

ـ اكتساب الجماهير وخاصة الأطفال كماً من الألفاظ اللغوية الفصيحة، والتراكيب السليمة، مما يسهم في تنمية قدراتهم اللغوية والعاطفية والاجتماعية والنفسية، ويشيع في نفوسهم البهجة، وهذا متحقق في الأشرطة السمعية والأفلام المطروحة في الأسواق على اختلاف موادها من قصص ومغامرات وأناشيد وغيرها، وبعضه يعرض في التلفزات، ويبث في الإذاعات.

ـ إمداد المجتمع بكثير من الألفاظ والعبارات الجديدة المولدة التي شاعت على الألسنة كالتقنين والتمويل والتطوير والاستجواب والعضوية والمنطاد والدراجة والهاتف والمذياع والتلفاز والمأساة والملهاة، وغيرها كثير. ومن العبارات قولهم: السوق السوداء والرقم القياسي والقوة الضاربة وتوتر العلاقات والغزو الفكري وناطحات السحاب وغسل اليدين من المسألة، وغيرها(٤٢).

وكثير من هذه العبارات والألفاظ التي دخلت لغتنا في العصر الحديث كما هو معلوم وافد إلينا من اللغات الأجنبية، ولا شك أن في هذا رافداً للغة يمدها بمزيد من المفردات والأساليب مما يساعد على نمو المعجم العربي وإثرائه، ولكن يجب أن يبقى الأمر في التعريب والتدخيل وغيرهما من الوسائل اللغوية خاضعا لقواعد محكمة موقوفاً على المؤسسات اللغوية المتخصصة.

ـ ومن الآثار الإيجابية لوسائل الإعلام أنها بهذه اللغة ـ التي سادت فيها والتي أطلق عليها مصطلح "اللغة الإعلامية"، وكان من أهم سماتها أنها لغة مباشرة ـ تصل إلى الهدف الذي تقصده بطريقة فورية، وتنصب عليه متجنّبةً اختيار الإيحاءات الجمالية والفنّية للألفاظ(٤٣)، أقول: إنّ هذه اللغة عملت على إزالة كثير من الفوارق الموجودة بين اللهجات المحلّية واللغة الأمّ، حيث استطاعت أن تقضي على كثير من الظواهر اللهجية الشاذة، وهذا عامل مهم من عوامل التوحيد أو على الأقل

٤٢- **اللغة الإعلامية**: ص ٢١٢، وعبد العزيز شرف: **المدخل إلى وسائل الإعلام**: ص ٣٩٠ ـ ٣٩١، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة وبيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٣- **اللغة الإعلامية**: ص ١٦١.

التقريب بين اللغة الفصحى والعامية.

والمأمول من وسائل إعلامنا على اختلافها أن تكون موادها كلها فصيحةً وداعيةً إلى الفصحى لأن التخاطب بها أدعى إلى القبول والإقناع بما يلقى ويقال لدى القاعدة الكبرى من أبناء العربية، إضافةً إلى أنه إسهام في استمرار الجهود لحماية هذه اللغة العظيمة.

ـ الآثار السلبية للغة الإعلام:

وسائل الإعلام سلاح ذو حدين، فهو جانب يمكن بث الخير منه في شقه الأول، كما يكمن جانب الشر في شقه الآخر، فلوسائل الإعلام جوانب سيئة كثيرة على اللغة وخاصة إذا لم توظف توظيفا مناسبا في نصرة اللغة وصونها عن العبث والفوضى، ويمكن أن نتلمس هذه الآثار السلبية بإيجاز في النقاط التالية:

١- شيوع كَمٍّ غير قليل من الألفاظ السوقية والعامية على ألسنة الناس وخاصة الناشئة نتيجةً لما يتلقفونه من وسائل الإعلام، ومن هنا تعدّ هذه الوسائل مفتاح شر ووبال على اللغة باعتبارها مصدر ترويج لتلك الألفاظ، وفي هذا تحدّ ومعارضة للغة الفصحى.

٢- الترويج للأخطاء اللغوية، واللغات الأجنبية عبر الإعلانات والأفلام.

والحديث عن هذا الجانب حديث ذو شجون؛ حيث أصبح الخطأ مألوفاً، والصواب غريباً، ولسوف تندهش حينما تستمع إلى مذيع يتلو عليك بياناً أو يقرأ أخباراً أو غيرها، من كثرة الأخطاء، وإن الخطأ في كثير منها واضح بيِّن، وكأن الأمر مجرّد مهنة يؤديها فُهِمَ ما يقول أم لم يفهم.

وسأورد بعض الأمثلة معتمداً على ما سمعته بنفسي من بعض وسائل الإعلام أو وقفت عليه في الصحف، وعلى ما ألف في هذا الموضوع، فمن ذلك:

ـ قول أحد المذيعين وأنا أسمعه: على أن يعود في اليوم "الثالثِ عشر" (بكسر الثالث)، وحقه البناء على فتح الجزأين مع "عشرة".

ـ وقال آخر: وهذا الأمر يستدعي جلب عمّال "أكفّاء" (بتشديد الفاء)، وحقه أن يقول: "أكْفاء"؛ لأن الأولى جمع كفيف "وهو فاقد البصر"، وليس هو المراد في المعنى، بل المراد جلب عمال أصحاب كفاية في العمل.

- ومن ذلك[٤٤]: نطق بعضهم للفعل "رضوا" فاتحاً الضاد فيقول: "رضَوا"، والصحيح ضمُّها.
- ومنه قول بعضهم: في قمة الدار البيضاءَ، والصحيح كسر الهمزة.
- ومنه قول بعضهم: من حقها وحدِها، والصواب وحدَها.
- ومنه قول بعضهم في نفي المستقبل: سوف لن يفعل، وهذا خطأ صوابه استعمال "لن" وحدها في نفي المستقبل فيقال: لن يفعل، ولإثباته يقال: سوف يفعل.
- ومثل ذلك إذا أريد تأكيد النفي في الماضي يقال: لم ينجح قط في محاولاته، ولا يقال: لم ينجح أبداً؛ لأن "أبداً" تستعمل في تأكيد المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوْا فِيْهَا** ﴾.

وغير ذلك كثير لا تستوعبه هذه الصفحات.

ومن أمثلة أخطاء الصحفيين في المفردات[٤٥]:

- قول بعضهم: "افتتح المَنْتَزَهُ الفلانيّ"، وهو خطأ صوابه: مُتَنَزَّهٌ؛ لأن "المُنْتَزَه" مأخوذٌ من "انْتَزَهَ"، وهو فعل غير مستعمل في لغة العرب، والمستعمل هو الفعل "تنزّه"، واسم المكان منه "متنزّه".
- وقول بعضهم: "والأمر مناط به"، أي متعلق به، وهذه الصيغة غير صحيحة، لأنها اسم مفعول مأخوذ من فعل معتلّ العيْن "بالواو"، وصيغة اسم المفعول في مثل هذه الأفعال يدخلها شيء من الإعلال، فتكون صحة اللفظ "منوط" كمقُول ومِلُوم وليس مناط؛ حيث إنه مأخوذ من "ناط الشيءَ" بمعنى علقه، أما "مناط" فهو مأخوذ من "أناط"، ومثال اسم المفعول من فعل معتل العين "بالياء": كمبيع ومشيد ومهيب.
- ومن أخطاء التراكيب قولهم: "وعموماً أتمنى"، جاء كلمة "عموماً" في كلام المتكلم مقحمةً لا ارتباط لها بسياقه، وبيان ذلك: أن معنى العموم هو الشمول، يقال: عمّ الشيء يعمّ عموماً؛ أي: شمل، ويقال: عمّهم بالعطية أي: شملهم. وليس في كلام المتكلم ما يدل على هذا المعنى حتى يستعمل هذا المصدر في الدلالة عليه، فالكلمة صحيحة في ذاتها، ولكن ليس لها محلّ هنا، وكان بإمكان المتكلّم

٤٤- انظر: أحمد مختار عمر، **أخطاء اللغة العربية المعاصرة**: ص ١٠٨، ١٤٠، ١٦٠، ١٦٨، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

٤٥- انظر محمد المفدي، سيد أبو حطب ومحمد سعادة: **ما تلحن فيه الصحف**: ص ٢٥، ١٠٤، ١٢٢، ١٥٨، ١٩٨، ١٩٩، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

أن يقول بدلاً عنها: وعلى كل حال، أو أياً كان، أو في ختام حديثي، أو وختاماً ... أو غير ذلك.

- وكذلك قولهم: "وقد بدأ فعلاً في الإعداد لذلك"، كلمة "فعلاً" شاعت كثيراً في هذا العصر، ولم تستعمل في كلام العرب لهذا الغرض، وليس لها وجه ظاهر تحمل عليه، ولعله من الدخيل على العربية، ومقابله في الفصحى كلمة "حقاً"، تقول: وقد بدأ حقاً في الإعداد لذلك الأمر، ولا حاجة لاستخدام ما لا أصل له في العربية.

- ومن أخطاء الدلالة قولهم: "المبْنَى مصمَّم على أن يكون دوراً واحداً" يعنون بكلمة "الدور" الطابق، وهذه الكلمة لا أصل لها بهذا المعنى في كتب اللغة، وبديلها في الفصحى كلمة "الطابق" وتجمع على طوابق.

- وكذلك قولهم: "التعريف بالأخطاء"، حيث يُعَدُّون "عرَّف" بالباء، وهي تتعدى بنفسها إلى مفعولين، تقول: عرفته الخبر بمعنى أعلمته، وهي قبل تضعيفها تتعدَّى إلى مفعول واحد، وتقول: عَرَّفْتُهُ بكذا، فتتعدَّى إلى الثاني بالباء، وتقول في معنًى آخر: عَرَّفْتُ الضالة بمعنى أنشدتها، فهي تتعدّى إلى مفعول واحد.

وسوى ذلك كثير مما قد فشا في وسائل الإعلام كلها مقروئها ومسموعها، وقد ألّفت كتب عديدة في تتبع هذه الأخطاء منها:

- كتاب **أخطاء اللغة العربية عند الكتّاب والإذاعيين**، أحمد مختار عمر.
- وكتاب **لغة الجرائد**، للشيخ إبراهيم اليازجي.
- وكتاب **لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط**، إبراهيم دردير.
- وكتاب **الواقع اللغوي والهوية العربية**، أحمد سمير بيبرس.
- وكتاب **ما تلحن فيه الصحف**، محمد المفدى وآخرين.
- وكتاب **نحو لغة سليمة**، لزهدي أبي خليل، وغيرها.

٣- الترويج لعادات نطقية غير صحيحة كترقيق ما حقه التفخيم أو تفخيم ما حقه الترقيق، ونطق الذال زاياً والصاد سيناً والضاد دالاً وغيرها.

٤- إفساد الذوق الأدبي واللغوي وذلك بتعمّد إيجاد قوالب غالطة أو أجنبية وخاصة في الإعلانات.

٥- تسميم اللغة بتوظيف كثير من المفردات والتراكيب الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية(٤٦).

٦- تعطيل ملكة التفكير والقراءة عند الأطفال، وقد أثبتت ذلك بحوث ميدانية قام بها عدد من الباحثين، وأصبحت نتائجها مقبولةً لدى عدد من المعاهد في العالم، كما أكدت دراسات موازية أن مشاهدة التلفاز قد حلّت محل نشاطات أخرى عند الأطفال كاللعب والقراءة، إضافةً إلى اكتسابهم كثيراً من العادات الخاطئة(٤٧)، وأضاف بعضهم أن للتلفاز على وجه الخصوص تأثير سلبي على الأطفال والشباب بما يمضونه من أوقات طويلة لمشاهدة برامجه، وأثر ذلك على التحصيل العلمي والثقافي، وأضاف: إنه من الملاحظ أن الشباب الذين يحرّضون على متابعة برامج التلفاز أقل تفوقاً من زملائهم(٤٨).

والعلاج الفعّال في تخطي هذه المحنة اللغوية هو تعيين متخصصين في مختلف وسائل الإعلام من أهل اللغة الأكفاء لمراجعة المواد الإعلامية المعروضة والمذاعة، وتقويمها وضبطها ضبطاً دقيقاً، بالإضافة إلى العناية بتنمية المهارات اللغوية للعاملين في مجال الإعلام عن طريق دورات ومحاضرات تقام باستمرار من قبل متخصصين أكفاء في اللغة العربية، وقد سبق أن أوصى بهذا مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته عام ١٤٠٤هـ(٤٩).

ـ المسلسلات الفصيحة والمدبلجة وآثارها:

أما المسلسلات التي كتبت مادتها بالعربية الفصحى فلها دور فعّال وملموس في ترك الأثر اللغوي على ألسنة الناس، وأنا ـ وإن كنت قليل المتابعة لمثل هذه البرامج ـ إلا أنني كنت أسمع أسماء مسلسلات فصيحة تدور على ألسنة الناس من فرط إعجابهم بها، وحبّهم لها، ويؤكد ذلك أن بعضاً منها يكرر عرضه في قنوات مختلفة من التلفزات العربية، وبعضه كان يعرض في عدة قنوات في آن واحد، وأذكر من ذلك مسلسل "الزير سالم" وغيره، ولعل أهم ما يجب أن يميّز هذه المسلسلات لتأخذ

٤٦- أثر **الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية**: ص ٢٣١، ٢٤٦.

٤٧- راشد الفضلي: **أثر مشاهدة التلفزيون على عادة القراءة عند الأطفال**: ص ٢٣ - ٢٤، وزارة المعارف السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، وانظر: محمد بكر العليان: **من قضايا الفكر في وسائل الإعلام**: ص ٤٣، ١٤٠٧هـ.

٤٨- **من قضايا الفكر في وسائل الإعلام**: ص ٤٣.

٤٩- مجلة مجمع اللغة العربية، بالقاهرة، (ع ٤٩) لعام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

طريقها نحو النجاح والشيوع لتنافس المسلسلات العامية، بل وتحلّ محلّها في الاستئثار بأفكار الجمهور والتأثير فيهم وبالتالي التأثير في لغتهم هو صبغها باللغة الراقية، والأداء المتميّز، وبذل كل الإمكانيات المتاحة من التقنيات المعاصرة والمؤثرات الإعلامية لإخراجها بالصورة المثلى.

ومثل هذا ينبغي أن يقال في المسلسلات المترجمة عن اللغات الأجنبية، فلها أثر كبير، ويسمعها جمهور غفير، وأذكر أن مسلسلاً مكسيكياً مترجماً بعنوان "كاسندرا" كان يأخذ بألباب المشاهدين، فكانوا يتابعون مشاهدته يومياً بشغف، تاركين أشغالهم، ومفرغين أنفسهم في الساعة التي يعرض فيها على الرغم من أنه طويل جداً زاد عدد حلقاته على مائتي حلقة، وجزء كبير من هذا الجمهور هو من عوام الناس، ولا شك أن مسلسلاً كهذا تتابع فيه الأدوار بشيء من الترقب، وتنصرف له الحواس بالكلية كفيل بأن يترك بصمةً في أذهان الجمهور مقرونةً بعبارات وألفاظ ألفوا سماعها على مدى حلقات هذا المسلسل الطويل. ولم يضره كونه ترجم باللغة الفصحى، بل على العكس كتب له من الشعبية والقبول ما لم يكتب لغيره من المسلسلات؛ ذلك لأنه أخرج وفقاً لمتطلبات المعاصرة والتقنية شكلاً ومضموناً، وكان الإقبال عليه من كافة أبناء العربية على اختلاف بلدانهم لأنهم جميعاً يفهمون هذه اللغة التي أُدِّيَ بها، ولعل السرَّ في اختيار هذه اللغة الفصحى لترجمة هذا المسلسل وغيره من المسلسلات من قبل تلك الجهات المعنية هو طلب تحقيق الانتشار الواسع لهذه المسلسلات والبرامج، وهذا ما حدث حقاً، وكل ذلك يؤكد قدرة هذه اللغة على الوفاء بمتطلبات هذه البرامج من الانتشار الواسع، وإحداث التواصل بين أبناء العربية، وهذا عامل مهم جداً(٥٠).

فإذا توالى عرض مثل هذه المسلسلات، وتتابعت البرامج الفصيحة آخذةً مساحةً واسعةً من شاشات العرض، مع دقة وحكمة في اختيار نصوص هذه البرامج، وتدرج في إدخال كلمات فصيحة هنا، وعبارات وأساليب راقية هناك، فإن الأثر سيكون حميداً، والعمل دؤوباً، والطريق طويلة تحتاج إلى صبر ومثابرة لتؤتي أكلها بعد حين بإذن ربها.

ـ أثر الإعلام في التقريب اللغوي:

التقريب بين العامية والفصحى على طريقة تجعل هذه تَغْتَمِرُ تلك مطلبٌ مقبولٌ إن كانت الغاية من ورائه تقريب الهُوَّة بينهما من أجل الوصول إلى مستوًى يمكن معه فتح الطريق ميسوراً إلى تلقّي الفصحى بيسر وسهولة، لا البعد عنها، وهذا هدف سام يجب أن نضعه في الحسبان، ونسعى إلى تحقيقه على أرض

٥٠- **اللغة العربية في العصر الحديث**: ص ١٣٨.

الواقع، فالعاميات المنتشرة الآن متفاوتة في درجات بعدها عن اللغة الفصحى، ولا ينكر أن في كثير من ألفاظها وأبنيتها قرب من أصلها الفصيح يصل في حالات كثيرة إلى نحو ٩٠ بالمائة، وفي بعض ألفاظها إيغال في البعد، بل إنك لا تجد له أصلاً فيها. ولكن يمكننا القول بأنه يمكننا الانطلاق من تلك السمات المشتركة والمتقاربة للتقريب بين اللغتين، وجعل الفصحى أكثر ألفةً لدى العامة(٥١).

هذا جانب يجب أن يواكب الجوانب الأخرى في وسائل الإعلام المختلفة حتى تؤدي جميعها متآزرةً ما نصبو إليه من قرب نحو لغتنا الأم، اللغة الفصحى. أما تصور عصر ذهبي تعود فيه الفصحى هي اللغة الوحيدة مسيطرةً على كل مناحي الحياة كما كان عليه الحال في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، فهذا أمر يبدو من العسر بمكان. ولكن التقريب بينهما أمر سهل ميسور إن سُلِكَتْ سبيلُه، وهو طريق يوصل في مراحل لاحقة إلى الاقتراب كثيراً من اللغة الأم، وإن عطاء عامية منتقاة ذات أصول فصيحة تقرّب من الفصحى في جمالها وبهائها يعدّ مطلباً قومياً يجب الحرص عليه، والدعوة إليه(٥٢). ولا ينكر ما لوسائل الإعلام المختلفة من مقدرة نافذة تجاه هذا المطلب فيما تقدّمه من برامج علمية وترفيهية وغيرها.

خاتمة:

أليس عجيباً أن يستفحل الداء مع كثرة الوصفات والتوصيات، والمحافل والندوات! أليس عجيباً أن يستشري الداء وفي الأمة غيارى على لغتها ينادون القائمين على أمور الإعلام كلا في مكانه أن يكونوا أوفياء للغتهم، أعزاء بها، فلا يَسُومُونَها سوء المسخ والإبعاد؟

لعلنا بعد هذه الصفحات التي اقتضبنا فيها الحديث بإشارات عابرة عن ثلاثية الإعلام "الصحافة والإذاعة والتلفاز"، وأعطينا نُبَذاً للخطر التي تشكّله على اللغة العربية من خلال برامجها المختلفة التي تقدّم للعامَّة صغاراً وكباراً، وأشرنا في ثنايا الحديث إلى بعض الخلل الذي يعتور هذه الأجهز ة فتكون الإساءة إلى اللغة الفصحى بقصد أو دون قصد، كما أشرنا إلى بعض الأمور التي يجب الوقوف عندها من أجل النهوض بهذه الثلاثية الإعلامية لجعلها أداةً فعالةً في نشر الفصحى عن طريق غرس الألفاظ الفصيحة والتعبيرات السليمة بتكرارها على مسامعهم وأمام أعينهم، فتسري على ألسنتهم وخاصة الناشئة؛ لأنهم يحفظون ما يسمعون، وعليه يقيسون، ومنه يستنبطون.

٥١- **اللغة العربية في العصر الحديث**: ص ١٣٩.

٥٢- **اللغة والكلام**: ص ٣٣.

كما أشرنا إلى أصناف البرامج التي تقدّم سواء في الإذاعة أو التلفاز أو الصحافة، وكيف يمكن الإفادة منها في تقريب الفصحى من ألسنة الجماهير المستمعة والمشاهدة، ولعلنا نشير في هذه العجالة الخاتمة إلى أهم النقاط التي يمكن من خلالها الرُّقيُّ بمستوى وسائل الاتصال مع الجماهير لتكون أكثر فاعليةً وتأثيراً في غرس الفصحى في نفوسهم، وتقريبها من ألسنتهم:

ـ الصفحات الثقافية والأدبية:

بين صحافتنا ولغتنا فجوة عميقة تتمثل في تجنّي كثير من الصحف على الفصحى بفُشُوِّ الأخطاء فيها، وعدم إعطاء المجال اللغوي والأدبي مساحةً كافيةً للتعبير والحديث، والترويج من جانب آخر للعاميات والأخطاء بما ينشر ويذاع من آداب شعبية تشارك في الإبعاد عن اللغة الفصحى.

يجب على صحافتنا العربية أن تفرد في أعدادها اليومية ملحقات خاصة باللغة وما يتعلق بها من دراسات وفنون تثير العقل، وتنبّه الفكر، وتقدح الزناد، وتثري المحصول اللغوي لدى القارئ والمطلع على غرار ما يعطى من مساحات للجانب الرياضي مثلاً. وهذا أمر لو قدر له قدره لكان فيه الخير العميم، والنفع الكبير، ولكانت الصحافة ميداناً ثَرًّا للغة؛ حيث إنها بلغتها الفصيحة المبسطة البعيدة عن الغريب والحوشي من الألفاظ والتراكيب تستطيع أن تكون أداة تثقيف له أثر جيّد في زيادة محصول المطلع والقارئ من الألفاظ الفصيحة. ونجاح مثل هذا المشروع متوقف على توفير الدعم المادي، والتشجيع المطلوب للكتاب والأدباء من أجل التواصل مع هذه الصحف عن طريق تزويدها بمقالات قيمة، وموضوعات مفيدة، ودراسات جادة يكون لها أبلغ النفع والأثر إن شاء الله.

ـ الرقابة اللغوية:

المواد الإعلامية على تنوعها المذاعة والمبثوثة عبر التلفزات والمكتوبة في الصحف والمجلات يجب أن تخضع لرقابة لغوية صارمة من قبل وزارات الإعلام في بلادنا، ويتطلب هذا الأمر استقطاب أصحاب الخبرة والمهارة من أهل التخصص اللغوي للعمل في هذ الميدان المهم، وأرى أن تضع وزارة الإعلام غرامات وجزاءات لمن يقع في مادته خطأ لغوي، ويدخل في ذلك كل ما له صلة في مجال الإعلام كالدعايات والإعلانات التي تعلّق في الشوارع وتعرض في التلفاز، واللافتات التي توضع على الدكاكين وغيرها، وقد فشا في كل تلك المجالات من الأخطاء اللغوية ما يَقْشَعِرُّ له البدن، ويجب أن يتم كل ذلك تحت إشراف الوزارات المسؤولة ومكاتبها التي يجب أن تكون مبثوثةً في كل مدينة وبلدة، ولا يرخص فيها إلا بعد إجازتها لغوياً. وكان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أوصى عام ١٤٠٤هـ بأن تعنى وسائل الإعلام جميعاً بالتزام اللغة الفصحى، مع وجوب تعيين مصححين

متخصصين لكل ما يكتب أو يذاع.

إن التزام وسائل الإعلام باللغة الفصحى بفعل هذه الرقابة إضافةً إلى الاستخدام الرسمي لها كفيل بأن يساعد على نشر اللفظ الفصيح وسيرورته وإماتة غيره، ولعل أكبر مثال على ذلك أن لفظ "الهاتف" و "الحافلة" وغيرهما لما استخدما رسمياً في وسائل الإعلام، شاعا على ألسنة الناس في بعض الدول العربية كالكويت والسعودية وغيرهما، وحَلاَّ محلَّ "التليفون" و "الباص". فالاستعمال الرسمي من خلال وسائل الإعلام له دوره في التثبيت والإحلال.

ـ برامج الفصحى والعامية:

يجب أن تحظى برامج الفصحى في وسائل الإعلام بقدر أكبر من الاهتمام وذلك عن طريق الإكثار منها سواء أكانت مسلسلات أم لقاءات أم حوارات أم برامج تعنى بالأطفال أم إعلانات تجارية أم غيرها، ويدخل في هذا النطاق البرامج الأدبية والدينية والثقافية وغيرها، وأشير هنا إلى وجوب مضاعفة البرامج التي تقدّم فيها النصوص الفصيحة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الفصحاء شعراً ونثراً، وما يتعلق بذلك من مسابقات ولقاءات تنمي الحصيلة، وتقيم اللسان على الفصيح من الكلام، وقد أفادت دراسة قام بها أحد الباحثين بأن هناك علاقةً طرديةً إيجابيةً بين حفظ الطالب لكتاب الله تعالى، وقدرته على إعراب الكلمات وضبطها ضبطا صحيحا، ومثل ذلك يقال في سماع الأشرطة الإسلامية وقراءة الكتب غير المقررة(٥٣).

وفي المقابل يجب التقليل من نشر ما يروّج للعامية ويساعد على تثبيتها من أمثال الآداب الشعبية وما يتعلق بها من شعر عامي، وقد أوصى بهذا مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٨٤م.

ـ البرامج التعليمية:

ويقصد بها تلك البرامج التي تُعنَى بتعليم العربية لكل فئات المجتمع، ويتم ذلك عن طريق لجان متخصصة تقوم بوضع البرامج المناسبة لكل فئة من تلك الفئات، ويتم عن طريق هذه البرامج تعليم القواعد، وبث التراكيب الفصيحة، والتدريب على النطق الصحيح، كما يمكن من خلال هذه البرامج تقوية الطالبة في موادهم الدراسية المتنوعة وبث اللغة الفصيحة من خلالها لتسري رويداً في ألسنتهم، ويحدث التأثير المأمول إن شاء الله، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه البرامج في وسائل إعلامنا حالياً قليلة جداً.

٥٣- **العلاقة بين التعرض لوسائل الإعلام الجماهيري والقدرة النحوية**: ٢١٠ ـ ٢١١.

ـ العناية ببرامج الأطفال:

وسائل الإعلام ـ كما سبق أن أشرنا ـ وسائل تثقيف لا ينكر دورها وتأثيرها، فهي إضافةً إلى اتخاذها وسائل ترفيه وتسلية لا يعدم أثرها في تلقين الناشئة اللغة الفصيحة، ومن هنا يجب على المسؤولين في وسائل الإعلام تكثيف برامج الأطفال التي تعين على تلقينهم اللغة الفصيحة، وتزيد من محصولهم اللغوي كالقصص الشائقة، والأفلام الفصيحة المعبِّرة، والمغامرات والحكايات التاريخية، إضافةً إلى البرامج التعليمية الخاصة بهم، ووضع الجوائز والحوافز للكتَّاب واللغويين من أجل المساهمة في هذه المشروعات التي تحتاج إلى تضافر الجهود من كل الأطراف.

وينبغي أن لا نَنْسى في هذا المقام الإعلانات التجارية وتعلّق الأطفال بها، ومدى تأثيرها عليهم، وندعو هنا إلى وجوب تهذيب هذه الإعلانات وتنقيتها من اللغة العامية الهابطة والكلمات الأجنبية، واستغلالها كأداة لها تأثير مباشر.

ـ رجل الإعلام:

يجب أن يكون اختيار المذيعين والمقدّمين للبرامج في الإذاعة والتلفاز وفقاً لمعايير تجعل من رجل الإعلام نموذجاً حياً للغة الفصحى، ويدخل في هذه المعايير الخبرات والكفاءات العالية، والنطق السليم، والتمكُّن في اللغة وغيرها؛ ليكون رجل الإعلام قدوةً صالحةً للمشاهدين والمستمعين، وألا يُعيَّن أحد منهم في تلك المواقع المهمة إلا بعد اجتياز الاختبارات اللغوية الصارمة، ويتبع ذلك الاستمرار في إعدادهم ومتابعتهم لغوياً بإقامة الدورات القصيرة المكثفة والطويلة عن طريق المؤسسات العلمية المتخصصة التي لا بد أن يكون بينها وبين المؤسسات الإعلامية صلة وثيقة ودائمة. ويجب على من يتخصص في مجال الإعلام أن يكون نصيبه من درس اللغة إبان مراحل الطلب العليا أكثر من غيره؛ ليكون إعداده ملائماً لمهنته.

ـ الحوافز والتشجيع:

لا بد أن تنتهج وزارات إعلامنا نهجاً قويماً في تشجيع المواهب، وتحفيز الكتّاب، وشحذ همم اللغويين والأدباء من أجل المساهمة في ملء الفراغ، وإصلاح الخلل، وسدّ الثغرات التي أشرنا إليها في وسائل الإعلام بتقديم البرامج المناسبة، والمواد الإعلامية الفصيحة التي ترقى بهذه الوسائل لتؤدي الغرض المنشود منها، ويكون ذلك بطرق شتى من أهمها وضع الجوائز المالية والمعنوية الدائمة للغويين والإعلاميين على حد سواء ليساهم كل منهم بجهده في نشر الفصحى عبر هذه الوسائل. كما

يدخل في هذا الإطار تشجيع المؤسسات الإعلامية الخاصة بحثها على الالتزام باللغة الفصيحة، وتشجيعها بشراء برامجها ومنتجاتها اللغوية والإعلامية الفصيحة.

ولعل من المناسب هنا أن نشير إلى وجوب تخلّص وسائل الإعلام والجهات المعنية بها عن كل ما من شأنه الإساءة إلى الفصحى من جهة، أو نشر العامية من جهة أخرى، ومن الغريب ما رأيته في أحد المحافل العربية الكبيرة حيث كرمت مذيعة لعدة خصال توافرت فيها، وكان من المؤسف حقاً أن يكون سعيها لنشر لهجة بلدها عن قصد أو دون قصد عاملاً من عوامل منحها الجائزة التي حازتها، وكان أحرى بهؤلاء القوم أن يضعوا الجائزة لمن هو أكثر التزاماً باللغة الفصحى لا يحيد عنها في مواقفه الإعلامية كلها، فيشجع هو بالمثابرة على موقفه هذا، ويُغْرَى بهذا غيرُه من أبناء الأمة العاملين في مجال الإعلام على اختلاف مستوياتهم.

وبعد، فهذا ما تيسَّر سطره في هذه الوريقات، فما كان فيها من صواب فمن الله، ومن وقف فيها على سقط أو خلل فليلتمس عذراً لأن الكريم مِعْذَارٌ، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * *